فانه الذي بعث في اخر الزمان وهو الذي نبوته وملك امته ابدي الى قيام الساعة اذ لا نبي بعده صلى الله
عليه وسلم ولا نسخ لشرعه الشريف ما بقيت الدنيا وهو الذي بعث الى جميع الامم فظهر عليها كلها وخلط
بين اجناسها وجعلها على اختلاف اديانها واختلاف لغاتها جنسا واحدا على لغة واحدة اذ كلهم يقرؤون
القران بلغة العرب وبها يصلون الى غير ذلك وكلهم يدينون بدين واحد وهو دين الاسلام وبالجملة فنصوص
الكتب السابقة على ثبوت نبوة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وتعظيم شانه واصاءة الانبيا الماضين عليه
واشاعتهم ذكره وتبشيرات الاخبار به لا تكاد تنحصر وثبوت رسالته وشرفه على كل ما خلق مولانا
تبارك وتعالى اجلا من الشمس وقد ثبت الاجماع على افضليته صلى الله عليه وسلم على جميع الخلق وشواهد
ذلك من الكتاب والسنة لا تكاد تنحصر ولا يلتفت الى من ابتدع وحاول غير ذلك ويكفيك في معرفة شفوفه
وعلو منزلته عند الله تعالى على جميع المخلوقات عموما بلا استثنا ما اجمع عليه من التقدم للشفاعة
الكبرى في موطن الحزة وتنويه الله تعالى بقدره هناك والرفع لمنزلته والاكرام له حيث اجتمع الاولون
والاخرون وجميع الانبياء والمرسلين والملايكة كلهم والمقربين وعم الخطب واشتد الهول وكل مشغول بنفسه
خايف هايب لجلال المولى العظيم جاث على ركبتيه لما يرى في ذلك اليوم من الخطر والهول الجسيم ولا يتجاسر
احد في ذلك اليوم المحضر الهايل على مخاطبة المولى تبارك وتعالى في رفع شي مما نزل سوى عبده وخاتم رسله
وعروس مملكته وسرها واكسيرها وسيد كل ما خلق مولانا جل وعلا صلى الله عليه وسلم فيقول عندما ينتهي
الناس اليه في طلب الشفاعة الى المولى تبارك وتعالى انا لها انا لها لا يخاف ولا يهمه امر نفسه ولا يتقنع ويذهب
حتى يسجد تحت العرش فيقول المولى جل وعلا ارفع راسك يا محمد وقل يسمع لك وسل تعطى واشفع تشفع
فانظر رحمك الله هذا الخطاب العزيز اللطيف الشريف له عليه الصلاة والسلام من مولانا تبارك وتعالى في ذلك
اليوم الهايل الذي غضب فيه سبحانه غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله كيف وهو صريح بالمعنى
بلا نزاع ولا ريب ولا احتمال انه لا اكرم من نبينا وسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم على الله تبارك وتعالى اوفى
الحديث انه صلى الله عليه وسلم اول من يقرع باب الجنة فيقول رضوان خازنها عليه السلام من فيقول
محمد فيقول له رضوان عليه السلام بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك او كما قال وروي ما معناه ان النار عند ما تسوقها
الملايكة الموكلون بها بالسلاسل لتحيط بالخلق في المحشر فاذا قربت منهم بنحو خمسماية سنة تشهق شهيقا
عظيما منكرا وتنقلت منها الاعناق الى المحشر طول العنق خمس ماية سنة له فم واسنان من نار فيصل
العنق الى المحشر ويزفر عليهم ويشهق عليهم شهيقا منكرا لا يستطاع سماعه ويملا عليهم الجو ظلمة ونارا
زيادة على ما هم فيه من الاهوال الجسيمة ويلتقط العنق الطويل الناس من الموقف ويبتلعهم ذلك العنق

اشار الى الزمخشري في اماكن من تفسيره

المراد بالغضب شدة الانتقام لا غليان الدم

الطويل

الطويل الى جوفه وحينيذ تجثو على الركب الملايكة المقربون والانبيا والرسل على جميعهم الصلاة والسلام
فحينيذ ينهض الى نبينا وسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فيزجرها عن الناس وادم فمن دونه تحت
لوائه يوم القيمة ولو كان موسى عليه السلام وعيسى حيين ما وسعهما الا اتباعي وبالجملة فثبوت شرفه
وافضليته على جميع المخلوقات يكاد ان يكون معلوما من الدين ضرورة بحيث لا يحتاج الى سرد دليل وليس
يصح في الاذهان شي اذا احتاج النهار الى دليل تنبيهان الاول قال التفتازاني في شرح المقاصد
له بعد ما ذكر الاجماع على انه افضل الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام ثم اختلفوا في الافضل بعده فقيل
ادم عليه السلام لكونه ابا البشر وقيل نوح عليه الصلاة والسلام لطول عبادته ومجاهدته وقيل ابراهيم عليه الصلاة والسلام لزيادة
توكله واصطفايه وقيل موسى عليه الصلاة والسلام لكونه كليم الله تعالى ونجيه وقيل عيسى عليه الصلاة والسلام لكونه روح
الله تعالى وصفيه التنبيه الثاني قال الشيخ العارف بالله تعالى المحقق الحجة السالك المربي قدوة المقتدين
وعلم المهتدين حجة الله تعالى ابو عبد الله محمد بن عباد رحمه الله تعالى ورضي الله تعالى عنه في رسايله
في معنى الافضلية التي ثبتت بين الانبيا والرسل وفي معناهم الملايكة على جميعهم الصلاة والسلام قال
فانما وقعت الافضلية بينهم بحكم الله تعالى بافضلية بعضهم على بعض لا من اجل علة موجبة لذلك وجدت
في الفاضل وفقدت من المفضول وللسيد ان يفضل بعض عبيده على بعض وان كان كل واحد منهم كاملا في نفسه
بالغا في ذلك الغاية التي تليق به من غير ان يحمله على ذلك وصف يكون فيهم وذلك مما يجب له بحق سيادته والتمثيل بالسيد
امر تقريبي اذ لا يخلو من البواعث والاغراض والله تعالى منزه عن جميع ذلك ثم ان الله تعالى اعلم بما يقتضيه هذا
الحكم بالافضلية فهذا هو الذي يظهر لي في وجود سبب الافضلية بين الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا يتصور
عندي انكار ذلك واما ان يعتقد في سبب وجود الافضلية اتصاف الفاضل بصفات هي مفقودة في المفضول
او ان صفات الفاضل ناقصة وصفات الافضل كاملة فهو عندي تكلف وتعسف ولا يسلم من الوقوع في سوء الادب
وما زلت قط استثقل ما تواطا عليه الجم الغفير من العلما والمحققين حيث يقولون ان فلانا من الانبيا حاله كذا
وحال نبينا كذا وشتان ما بين الحالين او يقولون ان كان اختص بكذا فعند نبينا ما هو اعظم من ذلك كما قالوا
في انفجار الما من الحجر لموسى عليه الصلاة والسلام وانفجار الما من بين اصابع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يفرقوا بينهما سوى
ان الحجر مالوف منه انفجار الما والاصابع لم يولف منها ذلك حتى ان بعض اهل العصر الذي يلي عصرنا نظم قصيدة طويلة
مليحة استنبط فيها من احوال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ما وازن به جميع معجزات الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وشريف احوالهم وسلك مسلك ما ذكرناه من التباين في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقد احسن في ذلك واسا احسن من حيث الاستنباط واسا لما يتوهم منه من النقص والانحطاط
فان قالوا ذلك مما يقتضيه افضلية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قلنا لهم من اين لكم ذلك والذي تقتضيه افضليته
لا نعرف من تلقا انفسنا جملها ولا تفاصيلها وانما نعرف ذلك من قبله عليه الصلاة والسلام ثم الا لم نعرف من قبله
الا مجرد افضليته ربما نعلمها كقوله اعطيت كذا واعطيت كذا وفضلت بكذا او ما معنى هذا فاذا اعتقدنا
افضليته باخباره ايانا بذلك وقفنا على ما اخبرنا به من بعض البعض مما يقتضيه ذلك حكم الله تعالى بالافضلية
ومن لنا بالاطلاع على كنه ما يقتضيه ذلك الحكم منه ثم اقتصرنا على ذلك ولم نتجاوزه الى ان نتعرض لالتماس
ما يوجب وجود الافضلية من قبل نظرنا الى ما اعطي من الايات وما طبع عليه من محامد الصفات وما اتصف به

العظام

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)